



تنشغل دولة ولي الفقيه حالياً وتجهد نفسها دون كلل أو ملل في محاولة بلورة رؤية لكيفية التعاطي مع حادثة إسقاط تركيا للطائرة الحربية الروسية، وتلاه إسقاط مروحية روسية كانت في مهمة للبحث عن الطيار الروسي في ذلك اليوم، وتضع المقاربات لكيفية تصرف روسيا في أعقاب إسقاط تركيا لطايرتها، وما هو طبيعة هذا الرد، وهل سيقصر رد بوتين عند حدود ضبط النفس وتوجيه التحذيرات، واصدار قرارات منع السياح من التوجه إلى تركيا، وفرض الفيزا على الأتراك الراغبين لزيارة روسيا، أم أنه سيكون عسكرياً ومدمراً، وهو ما تتمناه دولة ولي الفقيه، لتدفن معه مشروع أردوغان في إعادة إحياء الإمبراطورية العثمانية من جديد، والتي حذر منها آيات الله العظام القابعين في كهوف قم وخراسان؟

فمن جهة تعتبر طهران السكوت الروسي بمثابة ضوء أخضر لتركيا لأردوغان للاستمرار في التهديدات والتحرشات والانتهاكات المستمرة لسماء سوريا وبحرها وحدودها، ومن جهة ثانية كيف ستضمن موسكو أولاً أن لا يؤدي ذلك إلى تدخل الناتو و تعقيد الأمور أكثر وبالتالي خشية ولي الفقيه على ضرورة استمرار الدور الروسي حتى يؤدي دوره على أكمل وجه، وحتى النهاية.

تعتبر دولة الفقيه الذي أشبعنا بشعاراته الجوفاء في مقارعة قوى الاستكبار ودول الإلحاد وفي مقدمتها الشيوعية وأنقاضها، أن تركيا تناولت وتحركت أكثر من حجمها وخارج الأطر القانونية والأعراف الدولية، بوقوفها بوجه الدب الروسي الذي لن

يوقفه أحد هذه المرة حسب ما لديها من معلومات مؤكدة، عندما حاولت ومن خلال إسقاطها الطائرة الروسية أن توجه الرسالة إلى موسكو بعدم التدخل في الجغرافيا السورية المتاخمة للحدود التركية بذريعة دعم التركمان في تلك المناطق من جهة، ومن جهة ثانية حاولت أنقرة أن توجد ذريعة لتتدخل على أثره في تلك المناطق التي تعتبرها مجالها الحيوي في شمال سوريا وتنشئ منطقة آمنة ليمارس أردوغان سياسته في دعم الإرهاب التكفيري.

تعتقد دولة ولي الفقيه، أنه ومنذ اليوم الأول لدخول روسيا على الخط في سوريا لمحاربة عصابات "داعش" الإرهابية المدعومة من واشنطن وتل أبيب وأنقرة وما اصطلحت على تسميته بقوى الرجعية العربية، كانت توقعات طهران تدور حول احتمال بروز مواجهات بين تركيا وروسيا، لدعم نفوذ الجماعات الإرهابية، وأنها أبلغت بوتين بذلك بشكل مباشر، وكانت النتيجة ما تحقق بالضبط، بإسقاط تركيا الطائرة الروسية فوق الأراضي السورية القريبة من الحدود التركية.

وما يؤكد صحة ودقة التوقعات الإيرانية هو سقوط الطائرة داخل الأراضي السورية، هو قيام عصابات تابعة لـ"داعش" بقتل الطيار قرب إحدى القرى السورية بعد نقل إحصائيات سقوط الطائرة لهم من خلال الجانب التركي.

وأما بشأن الأهداف الكامنة وراء إسقاط طائرة السوخوي الروسية، فترى طهران، أن هذه هي المرة الأولى التي يسقط فيها دولة من حلف الناتو طائرة مقاتلة روسية منذ خمسينيات القرن الماضي، وأن جميع القرائن تؤكد أن الطائرة الروسية أسقطت داخل الأراضي السورية، كما أن أحد الطيارين الروسيين قتل على يد المقاتلين التركمان المدعومين من تركيا، بالقرب من قرية بامادي السورية، الأمر الذي يؤكد الفرضية السابقة.

تزعم دولة ولي الفقيه أن أهم أسباب إسقاط الطائرة التركية جاءت مباشرة بسبب زيارة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، إلى طهران ولقائه المرشد علي خامنئي، للتأثير على التحالف الإيراني الروسي، واعتبار إسقاط الطائرة الروسية يعتبر بمثابة رد فعل عاجل ومتهور، مرده غضب واشنطن، وإحباط تركي خليجي، من نتائج هذه الزيارة التاريخية، ولقائه المهم مع الولي الفقيه والتي بحثا فيها سبل التعاون الاستراتيجي بين الدولتين، ومشاركته في القمة الثالثة لمنتدى الدول المصدرة للغاز وتأكيداته على الاستمرار في محاربة الإرهاب التكفيري الذي عاث فساداً ودماراً في سورية والاقليم، مما أزعج الغرب الذي تأكد لديه مدى دور إيران الحيوي لتعزيز الأمن الإقليمي والدولي لمحاربة الإرهاب فضلاً عن قوة الاقتصاد الإيراني والصناعة العسكرية الآخذة بالنمو والتطور؛ لذا فإن من الأهداف التي كان الغرب يتوخاها من خلال دفع أردوغان لإسقاط السوخوي الروسية حرف الأنظار عن قمة طهران الاقتصادية، وإنجازات القوات السورية ومليشيات إيران والقوات الروسية في مقابل الإرهاب التكفيري.

تعتبر دولة ولي الفقيه أن تركيا أردوغان ليست بمستوى القوة الروسية، لذا ترى أن إسقاط تركيا للطائرة الروسية داخل الأراضي السورية، جاء بتحريض غربي؛ أي أن تركيا قامت بهذه الخطوة الجنونية نيابة عن الغرب، وحسب الرؤية الإيرانية فإن حادث إسقاط الطائرة الروسية لم يكن ليقع لولا ضوء أخضر أمريكي، فمثل هذا الإجراء لن يقدم عليه أردوغان بمفرده، بعد الهستيريا التي أصابت تركيا نتيجة الهزائم المتوالية للمجموعات المسلحة الإرهابية التي تحظى بدعم تركي سعودي.

من الواضح أن تركيا ومن خلفها السعودية تحاولان من خلال سياساتها المتهورة أن تنوب عن الإدارة الأميركية بإرسال رسالة إلى موسكو تؤكد خشية الغرب من العمليات الروسية ضد مواقع عصابات "داعش" الإرهابية، ووجهت رسالة تحذيرية مفادها أنه وإذا ما تدخل الناتو للوقوف مع أردوغان ضد روسيا وحلفائها بعد هذه التطورات، فإنه سيدفع الثمن غالباً خصوصاً إذا ما استمر في دعم "داعش" والوقوف بوجه جبهة روسيا وإيران، وأن حلف الناتو يعلم جيداً أبعاد خطورة الخطوة التركية، وأنه لا يمكن له أن يورط نفسه في مغامرة لا طائل من ورائها، لذلك تنصل فوراً من الخطوة التركية، وأعلن

مباشرة أنه لا معلومات مسبقة لديه حول ملاسبات إسقاط الطائرة الروسية.

وقد نصبت دولة ولي الفقيه نفسها مدافعاً عن روسيا في انتهاكها للأجواء التركية، وافترضت أنه حتى لو دخلت الطائرة الروسية عن طريق الخطأ كيلومتراً أو كيلومترين داخل الأجواء التركية لبعض ثوان، فلا يستوجب ذلك إسقاطها من قبل بلد يفترض أنه يُقاتل الإرهاب تحت لواء التحالف الأمريكي، وكان يجب على تركيا أن تدرك مثل هذا الإختراق جاء نظراً للطبيعة الجغرافية المعقدة والمتداخلة على الحدود بين تركيا وسوريا.

وفي إطار سوق دولة ولي الفقيه للأسباب الكامنة وراء إسقاط هذه الطائرة، فقد أتهمت الرئيس أردوغان بالتعاون مع العصابات الإرهابية التي راهنت تركيا والسعودية عليها كثيراً، لتجني خيبة أملهما، بعد الهزائم التي لحقت بها من قبل الطائرات الروسية، ففكر أردوغان في إستراتيجية لإيقاف الهجوم الروسي الفعال والناجع على مواقع العصابات الإرهابية، ولم يجد أفضل من إسقاط الطائرة الروسية للحد من تأثير ذلك، دون أن يفكر في عواقب الأمور، لذا عليه وحلفائه وفي مقدمتها السعودية أن يدفعا الثمن غالباً.

فتركيا والغرب أرادوا توجيه رسالة انتقام إلى موسكو بسبب علاقاتها مع المتدهورة مع مصر، بسبب دعمهم للإخوان المسلمين وللتنظيمات التكفيرية، وحرّبوها على عصابات "داعش" وقوة علاقاتها مع إيران، فضلاً عن أن أردوغان والغرب وبعض الدول الخليجية وفي مقدمتها السعودية أرادوا أن يغطوا على فضيحة مد العصابات الإرهابية بالسلاح من خلال توجيه الضربة لروسيا التي شاهد العالم كيف أنها تحارب العصابات الإرهابية في سوريا، ومن المحتمل أن توسع نطاق عملياتها لتشمل العراق أيضاً.

كذلك جاء إسقاط تركيا للطائرة الروسية بعد أن تعرضت فرنسا لهجوم إرهابي، وتنسيقها مع روسيا كي تحارب تنظيم "داعش" على اعتبار أنه بات يُشكل تهديداً مباشراً لها، وبنفس الوقت وضعت خطة لهذا الأمر مفادها أن يقوم الجيش السوري لمحاربة "داعش" على الأرض، على أن تتولى كلا من فرنسا وروسيا الأمر من الجو. فجاء إسقاط أردوغان للطائرة الروسية للحد من التعاون مع الروس، وتسويق الأمر من أجل أن لا تستثمر موسكو وباريس قوتها وقدرتها لضرب الإرهاب.

بشرتنا طهران أن الرد الروسي على تركيا وحلفائها العرب سيكون متأنياً ومدروساً وناجماً، وأن أردوغان بفعلته هذه قد قبر وإلى الأبد حلم إعادة إحياء الإمبراطورية العثمانية التي تعتبر مصدر تهديد لإيران ودول المنطقة حتى المتحالفة معه.

فالأحتمال الأقوى هو أن الأوضاع لن تبقى في إطار التحذيرات والقرارات المحدودة، فروسيا قامت بنشر منظومة صواريخ إس ٤٠٠، في قاعدة حميميم الجوية باللاذقية، وإرسال مقاتلات لحماية للطائرات الروسية القاصفة ومدمرات تحمل صواريخ ذكية إلى سواحل اللاذقية مصحوبة برزمة تحذيرات صارمة من قبل روسيا لتركيا والسعودية وقطر.

بوتين الآن حسب التوقع والمعلومات الإيرانية المؤكدة - التي تتوقع أيضاً عملية تخريبية ستقوم بها داعش بدعم تركي سعودي قطري داخل روسيا - تُخطط لأكبر من الرد العسكري المحدود، بعد نجاح زيارته إلى فرنسا التي نجح فيها بوتين من اللعب على وتر الخلافات داخل الناتو عبر إقناع فرنسا بضرورة محاربة "داعش" والإبقاء على الأسد في الحكم في أن واحد. ما يعني أن "داعش" أصبحت في فخ السياسات الإقليمية والدولية، وأن أكبر حمايتها كتركيا والسعودية ستدفعان الثمن غالباً.

تعتبر طهران أن الإجراءات الروسية اتخذت لسد الطريق أمام أية قرارات متهورة قد تتخذها تركيا من جديد، والدفع باتجاه

تحرك الجيش التركي ضد أردوغان وعصابته، والتشجيع للانقلاب عليه. فموسكو ومن أجل أن لا تطعن من جديد من الخلف أعلنت أنها ستضرب بقبضة حديدية، فضلاً عن سلسلة إجراءات اقتصادية اتخذتها روسيا من قبيل منع السياح من التوجه إلى تركيا ووقف عمل الشركات التركية في روسيا؛ خصوصاً العاملة في قطاع الإنشاءات، هذا بالإضافة إلى إعلانها إعادة النظر في قضية تصدير الغاز إلى تركيا. وهذا ما سينعكس سلبياً على مكانة تركيا الإقليمية والدولية، وجعل أردوغان ومن شايعة يدفع ثمن سياساته الهوجاء.

مركز أمية للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

المصادر: